مشروع زوار البلد الحرام

أبواب الحياة السعيدة

الأستاذة

عائشة الأحمدي

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

الحمد لله ، الحمد لله ، الحمد لله ، دائمًا نكرر هذا الكلام ، وأول شيء نسأل الله -سبحانه و تعالى- أن يكتب لكم بهذه الخطى خطىً إلى الجنان ، نسأله أن يجعلنا وإياكم ممن خرج من هذا المجلس وقد بُشر (قوموا مغفورًا لكم ، قد بُدلت سيئاتكم حسنات) وهذا ما نسمو إليه ! أن نخرج من هذه الأبواب وقد وضعت أوزارنا وذنوبنا في مقاعدنا وخرجنا منها ، ونشعر أن هذا من الحوافز العظيمة ؛ لتجعلني أنهض وأتحرك من بيتي ، تقلقني هذه الذنوب وتضايقني ، وأعرف أن أعظم مخوف لي أمام الله -سبحانه وتعالى- هذه الذنوب ، وأعلم أن الله -سبحانه وتعالى- فتح لي بابًا عظيمًا من أبواب مغفرة الذنوب ، وهو الجلوس في هذه المجالس ! فنسأل الله ألا يحرمنا من فضله ، وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال .

دائمًا نكرر : السائر إلى الله -سبحانه وتعالى- ، سائرٌ بأمرين ، نكررها لأنها جداً مهمة ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق:6]

سنلاقي الله وسنحاسب على كل شيء ، إذًا ، وأنت سائر كي تلاقي الله -سبحانه وتعالى- سائر في أمرين :

① شهود منة الله عليك ، وترى ما أمدك الله -سبحانه وتعالى- ، وما امتنّ عليك ، وما وهبك ، وما أحسن إليك من نعم تجعلك شاكرًا حامدًا لله -سبحانه وتعالى- .

وهذا الشكر وهذا الحمد تنال منه ثواب ثبات النعم ، وكذلك الزيادة ، والمطلب العظيم من الشكر : أن يرضى عنك الله -سبحانه وتعالى- وهذا أعظم مطلب، قال تعالى ﴿وإن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: 7]

إذًا ، سببٌ من أسباب رضا الله -سبحانه وتعالى- ، وسببٌ من الأسباب التي يثبت الله ما عندي من نعم ، ويستجلب نعمًا أخرى هو : شكر الله -سبحانه وتعالى- شكره بالقلب والجوارح واللسان .

② وأنا سائرة أعترف بتقصيري ، وأعترف بفضل الله عليّ وما امتنّ عليّ ، ومهما فعلنا فنحن مقصرون ، مقصرون بجانب نعم الله -سبحانه وتعالى- وما أعده لنا.

الشعور بالتقصير يجعلني أشعر بالذنب فيخرج مني التوبة ، والاستغفار ، والتذلل ، والافتقار إلى الله .

إذًا ، وأنا سائرة إلى الله ، سائرة بهذين الأمرين ، فشهود منّة الله تجعلني أحمده ، وأشكره ، وأنال رضاه ، وأنال الثبات والزيادة ، وشهود تقصيري أمام نعم الله عليّ ، تجعلني أشعر بذنبي ، فأفتقر إلى الله ، وأستغفره ، وأتوب إليه

، فقد نجا من اعترف بذنبه -بإذن الله- ، من اعترف واستغفر وسأل الله -سبحانه وتعالى- فقد نجا ! أسأل الله أن يجعلني وإياكم من الناجين .

عنوان المحاضرة : أبواب الحياة السعيدة

نسأل الله أن يجعلنا من عباده السعداء

كلنا نبحث عن السعادة ، فهي مطلب لنا ، وكلنا يطلبها .

هل هناك أحد في الكون لا يطلب السعادة ؟

مستحيل أن يطلب أحد لنفسه الشقاء ! الكل منا يطلب السعادة ، يطلب الحياة الهنيئة ، والسعادة بالمال ، والسعادة في الأولاد ، والسعادة في البيت ، والراحة ، كلنا نطلبها ، لكن لابد أن نعرف :

ماهي مكونات هذه السعادة ؟

كيف أعرف أني سعيدة ؟

وكيف أعرف أني لست سعيدة ؟

مكونات هذه السعادة :

أولا : راحة البال ، وانشراح الصدر ، وطمأنينة القلب ، وسكون الفؤاد ، فهذه كلها مكونات السعادة .

لننظر فقط لواحد منها ، وهو راحة البال ؛ حتى نطبقه علينا نحن ، هل بالنا مرتاح أم لا ؟ هل نحن فعلاً ممن جزاهم الله -سبحانه وتعالى- بأن أصلح بالهم ؟ قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: 2]

هم حققوا شرطًا ، فالله -سبحانه وتعالى- جزاهم بأن أصلح بالهم .

لننظر إلى علامات لصلاح البال، أول شيء أريد أن أعرف ماهو البال ؟ ما معنى البال عندما قال (وأصلح بالهم) (الله يصلح بالك) ما هو البال ؟

هو التفكير بالقلب ، وهذا هو البال !

ننظر الآن للعلامات ، قال أهل العلم : إن لصلاح هذا البال علامات -ولأضع على نفسي هذه العلامات- ، هل أنا ممن أصلح الله بالهم أم لا ؟ وأسأله صلاح البال فهو الكريم والقادر على أن يعطيني .

من علامات صلاح البال :

١ - **العلامة الأولى** : أن من أصلح الله باله يحسن الظن في الله ويحسن الظن في الخلق .

مهما رأى من الخلق ، مهما رأى في الظاهر فهو دائماً يحسن في الناس الظن ، ما يُسيء أبداً إلا إذا كان شيئًا ظاهرًا جداً .

وكذلك يحسن الظن في الله ، إن كان في كربة أو في أزمة ، سأل الله والتجأ إليه، والله -سبحانه وتعالى- وعده ، قال ﴿ وإذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: 186]

ووعده وعودًا فقال : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: 3]

هو يحسن الظن مهما رأى من محن ، مهما رأى من كروب ، مهما رأى من خطوب ، يعلم أن الذي قدّر عليّ هذه الخطوب وهذه الابتلاءات هو الرحيم الكامل في صفاته ، الكامل في ذاته ، الكامل في أفعاله ، فيجعلني أحسن الظن فيه ، وأنه ما أراد لي إلا خيرًا، وأنه سيأتيني الفرج ، فمثل ما قدر عليّ البلاء فإنه سيأتي بالفرج .

إذًا ، هذه علامة من علامات صلاح البال ، أن يكون العبد محسن الظن في الله ، ومحسن الظن في الناس .

٢ - **العلامة الثانية :** أن قلبه دائمًا يحثه ويدله على أعمال الخير والبر ، عنده قوة إرادةٍ في قلبه على أعمال الخير .افعل كذا ، صُم ، صلّ ، تصدق على هذا ، افعل هذا وافعل هذا ، تفكيره وباله دائمًا في الخير ، ونحن قلنا أن البال هو التفكير في القلب ، فقلبه وتفكيره يحثه على أعمال البر .

وليس هذا معناه أنه لا يفعل شرًا أبدًا ! لا ، هو يفعل الشر ، وتأتيه خواطر وإرادات للشر ، لكن ماذا يفعل ؟

يدفعها عنه ، ويستعيذ بالله ، ويجاهد نفسه ! وحتى لو فعلها فإنه يستغفر ويتوب ويرجع لله -سبحانه وتعالى- ، ولا يذهب إلى المواطن التي تجعله يفعل ما يغضب الله -سبحانه-.

٣ - **العلامة الثالثة :** أن كل همومه -هموم الدنيا وهموم الأخرة- متوكلٌ فيها على الله ؛ فأول ما يأتيه همّ ويأتيه غمّ فإن أول من يفزع له قلبه هو الله -سبحانه وتعالى- .

لا يفزع للخلق ، لا يذهب للهواتف ويتصل على فلان وفلان ، لا ! بل إن قلبه تلقائيًا يفزع لله ، يسأل الله ، وينكسر ويتذلل ويفتقر بين يديه -نسأل الله أن يرزقني وإياك صلاح البال- .

وهذه منة من الله عظيمة ، فمن رأتها فلتحمد الله وتسأله الثبات والزيادة ! ومن نقصت عندها هذه العلامات فلتسأل الله من واسع فضله ، فهو الكريم وهو القادر أن يعطينا .

إذًا، نحن نريد أن نكون سعداء ، وقلنا أن من علامات السعادة ومن مكونات السعادة التي تكوّنها عندي : راحة بالي ، كذلك : انشراح صدري ، وطمأنينة قلبي ، وسكون فؤادي بأن يكون ساكنًا مهما يأتي من الخطوب ، ومهما تأتي من المحن والبلاءات ، ومهما يفزعون ، فإن القلب ساكن لله -سبحانه وتعالى- ومنكسر بين يديه .-نسأل الله أن يرزقني وإياك هذه السعادة- .

هل هذه السعادة بعيدة عنا ؟

لا ، هي موجودة بين أيدينا ! والله -سبحانه وتعالى- جعل أحوال الناس المختلفة حولنا ؛ حتى نرى من هم السعداء ومن هم غير السعداء !

فمن الناس فئة همهم المعاش ، وهمهم الوظيفة ، وهمهم أن يرتقوا إلى أعلى الدرجات العلمية -البكالوريوس ، والماجستير ، والدكتوراة- ، ثم الوظيفة ، وأن يأخذ ولدي الفلاني هذه الوظيفة ! فيتتابع الليل والنهار عليهم ولا يزيدوا في أعمارهم شيئًا !حياة يومية متكررة ! نمط حياته واحدة ! هذه فئة من الناس .

وفئة يعيشون حياة الفسق ، وحياة المعاصي ، وحياة الذنوب ، وحياة البعد عن الله -سبحانه وتعالى-، وعن الطاعات ، واقعون في هذه المحرمات ! ولم تزدهم هذه اللذات التي يرونها إلا بؤسًا وشقاوة ، لا تجده سعيدًا ! فقد تجد هذا المتلذذ بجميع أنواع الدنيا ، يعيش على مسكنات ، وعلى حبوب مهدئة ! وفي النهاية -إذا لم يكن في الإسلام- تجده منتحرًا ! رغم أنه يملك كل لذات الدنيا في يديه ، وكل مايريده بين يديه ، ولكن ما زادته هذه إلا بؤسًا وضعفًا !

وفئة ثالثة ، تعيش الحياة المعتادة ، وهي مشرب ، ومأكل ، و نوم ، وزواج ، ثم ممات ، ولا شيء !

طال العمر أو قصُر فهم في أكل وشرب ، وهذه يشاركنا فيها البهائم ! فالبهائم هذا حالهم ، يأكلون ، ويشربون ، وينامون ، ويتزاوجون ، ويتكاثرون ! فهذه هي حياتهم .

وتوجد حياة رابعة ، وحياة خامسة ، وسادسة ، وسابعة ، وحياة ثامنة !

لكن ، توجد حياة مختلفة ، ماهي؟

هي حياة السعادة والقرب من الله -سبحانه وتعالى- ، هذه الحياة التي قلنا أنها مطلب لكل إنسان ، فكل إنسان يتمنى أن يعيش هذه الحياة السعيدة ، وهي ليست بعيدة ، وإنما هي بين أيدينا ، ولها بوابات عظيمة ، والله -سبحانه وتعالى- جعلها من أسهل ما نصل إليه ، ولكننا أغلقنا الأبواب بيننا وبين هذه البوابات .

لننظر سويًا إلى أول بوابة ، وهذه البوابة العظمى تكفينا ؛ لأنها مفتاح للبوابات الأخرى ! و أحياناً تكون في حياتنا وأمامنا هذه البوابات ، لكننا أغلقنا ما بيننا وبين هذه البوابات ، وأحيانا يطول الإغلاق عنها ، وتطول معها سآمة الحياة ، ويطول معها الشعور بالضجر ، والشعور بالضيق ، والشعور بالنكد ؛ لأنه لم يزل فينا غافل وجاهل ، بالرغم من أن الأشياء التي يمكن أن تسعدنا كثيرة وموجودة ، وجعل الله -سبحانه وتعالى- بوابات نصل لها من أسهل مايكون .

البوابة الأولى :

أول بوابة ، وأول شريعة أنزلها الله لنا ، وأول ما خلق الله -سبحانه وتعالى- آدم ، وأهبطه من الجنة إلى الأرض ، أعلن الإعلان الأول للحياة البشرية كلها على وجه الأرض ، وتقرر القانون الرباني للحياة السعيدة !

أول ما خلق الله آدم وأنزله إلى الأرض ، ماذا قال في سورة طه ؟

قال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: 123]

تقرر تقرير من الله عندما أنزل أدم ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عدو ﴾ بمعنى : نحن والشياطين ، نحن والجن والشياطين ، فهم أعداء لبني آدم ؛ لأننا نحن الثقلين ، فقال﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ أي : كتاب .

منذ خلق الله البشرية ألا يوجد أنبياء ؟ كل الأنبياء نزلوا بالكتب والرسل ، قال : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ هذا قانون رباني .

في سورة البقرة، أعيدت نفس هذه الآية ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: 38]

هذه في سورة البقرة ، والأولى كانت في سورة طه .

إذًا ، هنا يقول الله -سبحانه وتعالى- لبني آدم عندما أهبطه من الجنة ، في أي وقت وأي زمان أنت عشت فيه ، وجاءكم يا معشر الثقلين هدىً أو كتاب أو رسول من الله -سبحانه وتعالى- وكان يهديكم ، فرتب على اتباع هداه أربعة أمور :

أنه ينفي عنا الخوف ، والحزن ، قال تعالى : ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، وينفي عنا الضلالة ، والشقاوة ، قال تعالى : ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾

نفى أربعة أمور ، وإذا نفى أربعة أمور فإنه يثبت أربعة أمور .

فعكس الخوف : الأمان ، وعكس الحزن : الفرح ، وعكس الشقاوة : السعادة ، وعكس الضلال : الهدى .

إذًا ، نفى عني أربعة ، وأعطاني في المقابل أربعة ، أعطاني الهدى ، والسعادة ، والفرح ، والأمن .

تقرر الأمر من قبل أن نُخلق أنا وأنت !

فالبوابة العظمى التي ندخل بها إلى هذه السعادة هي : **بوابة طاعة الله واتباع هداه** ! هذه هي البوابة الأولى ، لم تقرر الآن ، بل قُررت منذ نزول آدم على وجه الأرض ، منذ بدأت الحياة البشرية في الأرض ، هذه القاعدة وهذا القانون الرباني الذي مضمونه أنه ليس لكم سعادة ولا فرح ولا سرور إلا في اتباع هدي الله ، ولو أعرضت وبعدت فإنك ستعيش حياة الضنك ، وحياة التعاسة .

نحن نقرؤها ونرددها ، ومع ذلك نبتعد عن طاعة الله ! ويأتينا الهدى ونعرض عنه ! وتأتينا الخيرات ونعرض عنها !

سنذكر بعض الأمثلة : حينما نذهب إلى الحرم المكي أو الحرم النبوي ، ونجلس ثلاثة أيام ، نذهب ونرجع للحرم ونصلي ، كيف يكون شعورنا ؟ سعادتنا لا توصف ! نكون سعداء ولا نريد أن نرجع ، ولو سألنا أخواتنا الذين في الحرم ، سنجد شعورهم مثلنا ، إحدى الأخوات تقول : والله ذهبت لإحدى ضواحي باريس ، لأجمل منطقة في فرنسا ، ولكن ، والله إن جلوسي عند الحرم أربعة أيام أو خمسة تساوي الدنيا وما عليها !

فما السر في انشراح الصدر ، والسعادة ، والفرح ، والسرور ؟

السر هو قربك من الله ، فأنت مطيعٌ في هذه الفترة ، تصلي ، وتقرأ القرآن ، وتطوف ، وتتقرب إلى الله بكل الطاعات ، وعلى الأقل كنت متأدبًا مع ربك ، وحابس لسانك ، فلا يوجد ذاك اللغو .

وكذلك مثال أخر : في رمضان ، يصوم نهار اليوم ، ومن وفقهُ الله يقوم طوال الليل ، فتجده ما بين صلاة وصيام وتراويح ، وفي العشر الأواخر قيام ليل ، ومع ذلك يشعر بسعادة لم يشعر بها أبدًا من قبل !

كيف هو شعورنا في رمضان ؟ بالرغم من أننا لا نتزين ولا نلبس ، ولا نذهب ولا نأتي ، ومع هذا نحن سعداء ، سعادة ليس بعدها شيء ! ولو انقضى رمضان فإننا نحزن مع أنها ليلة عيد ، ومن المفروض أن نفرح ، ولكن يكون عندنا حزن على فراق رمضان ، فما الذي جعلنا نشعر في رمضان شعور الأنس ، والسعادة ، والطمأنينة ، وراحة البال ، و طمأنينة القلب ، والسكون ، والراحة النفسية ؟ السبب هو قربنا من الله ، تقربنا إليه بالطاعات ، فالأمر الذي قرره الله فعلناه ؛ لذلك شعرنا بالسعادة .

نضرب مثالًا آخرًا : تأملي وضع المسافر للحج ! رغم المشقة ، والتعب ، والزحام ، والوقوف عند الحافلات ، وقد يجلس بها ساعات ، وأحيانًا عند القطار ، وما أدراك ما القطار! والجلوس عنده أو المشي بالأقدام ! هناك مشقة كبيرة ، وعندما نسأل أحدًا عن حجّه يقول : والله إنها أسعد أيام حياتي ! فما السر ؟ هو طاعة الله ، فحين فتحت هذه البوابة ودخلت ، شعرت بهذه السعادة ، شعرت بالأنس ، شعرت بالفرح ، شعرت بالسرور ، استخدمت هذه البوابة التي عندك فلم تغلقها ! ولم تضعي سعادتك في ملابسك ، أو خروجك ، أو في زوجك ، أو في أولادك ، أو في المكان الذي أنت فيه ، أو فيما تملكين ، لا.

إذًا ، هذه هي البوابة الأولى ، بوابة اتباع هدى الله ، وطاعة الله ، واتباع أوامره ، وهي بين أيدينا ، فليس بيننا وبين الله لا حسب ولا نسب ، فما بيننا وبين الله إلا طاعته ، كلما أطعنا الله قربنا من الله -سبحانه وتعالى- ونلنا العزة ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: 10]

لن يرفعك إلى الله إلا طاعتك لله ، ولن ينشرح صدرك إلا بطاعتك لله ، لن يشرح صدرك ملابس ! لننظر إلى حال بعض النساء اللاتي في قاعات الأفراح ، تجدين أن بعضهم من الظهر عند الكوافيرة ، وتأتي في الليل وهي ترتدي أغلى فستان ، وقد يكون في القاعة منكر ، وتأتي كي تشعر بالأنس ! كيف يكون وضعها بعد المناسبة هذه !؟ ، ترجع البيت وهي في حالة ضجر ، رغم أنها أمضت يومها بالتزيّن واللبس الغالي ، فلِمَ هذا الضنك !؟ حقًّا ، لا توجد سعادة إلا في

القرب من الله ، القرب من الله هي السعادة الحقيقة ، وهي راحة البال التي تحدثنا عنها ، وانشراح الصدر ، وطمأنينة القلب ، وسكون الفؤاد ، هذه هي مكونات السعادة ، فلن تكون إلا بدخول هذه البوابة العظيمة التي هي بوابة اتباع هدى الله وطاعة الله ، باتباع أوامره وترك نواهيه .

فمن النماذج السابقة تعلمين أن الأوقات التي نكون فيها من أسعد الناس ، هي الأوقات التي نكون فيها مطيعين للأوامر-مصلين ، صائمين ، طائعين الله ، ذاكرين لله ، نكون بين القرآن والعبادة والصلاة ، نسأل الله أن يرزقنا من واسع فضله .

راحة البال لا تكون إلا في طاعة الله -سبحانه وتعالى- ، نستشهد بآية من كتاب الله تؤكد لنا هذا ، قال الله -سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97]

إذًا، السعادة بنص القرآن في الهداية ، والشقاوة هي ثمرة الضلال والبعد عن الله ، قال تعالى :﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [النحل: 124]

والله لو كان صاحب هذه الحياة غارقًا في متاع الدنيا كله ، فإنه من أشقى الناس إذا كان بعيدًا عن الله -سبحانه وتعالى- ، فطمأنينة القلب بالإيمان في الحياة تضاعف السعادة في الحياة لك ، السعادة طولًا ورضًا وسعةً وعمقًا .

تقرر لدنيا أن رضا الله بنص القرآن هو مسلك السعادة ، والأمن ، والفرح ، والسرور ، الله -سبحانه وتعالى- جعل لهذه الهداية ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾

ثلاثة طرق تكون سببًا في هذه الهداية ، فما هو هذا الهدى ؟ في ثلاث أمور :

١ - **الأمر الأول :** في القرآن ، فكلما كنت أقرب لكتاب الله تلاوةً وحفظًا وفهمًا و تدبرًا ، كلما نلت الهداية ، والدليل ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]

فما سيهديك إلا كلام الله -سبحانه وتعالى- ، لو جلس البشر من اليوم إلى الغد وهم يتكلمون معك ، والله لن ينفعك إلا كلام الله -سبحانه وتعالى- ، فالله خلق قلبك ويعلم سبب هداكِ ، وأنه في القرآن .

من فضل الله علينا ورحمته أننا في كل يوم نقول سبع عشرة مرة : اهدنا الصراط المستقيم ، يارب اهدنا لأننا بحاجة للهداية ، أعظم مطلب لنا في هذه الحياة هو أن يهدينا الله -سبحانه وتعالى- ، وهذه الهداية التي نسأله موجودة في كتاب الله ، والدليل﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]

٢ - **الأمر الثاني** : الهداية لها طريقٌ أخر ، في بيته المحرم ، والدليل قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [أل عمران: 96]

يأتي الناس من كل مكان ، والله يهديهم ويدلهم عليه ، والله أرانا وأشهدنا بأعيننا ! كم من غارق في الذنوب أربعين سنة ، خمسين سنة ، ستين سنة ، ثم أتى هنا للعمرة ، وفي بضعة أيام وذهب ليس في قلبه إلا الله ، وذهب مهتدٍ ! بيت الله هداية للعالمين كلهم ، يقول الرسول ﷺ: (استمتعوا من هذا البيت ؛ فإنه هُدم مرتين ويُرفع في الثالثة) حديث صحيح على شرط الشيخين .

لمَ قال استمتعوا ؟ من البركات والخيرات والهدايات التي فيه .

نقول : الحجاج يزاحمونا !؟ والله لو أنك في موسم الحج ، أو في أي زمان ، وأنت تحجين أوتأتين تطوفين وتسعين في أي وقت تأتيه ، يعلم الله ما في قلبك وييسر لك ، لكن نسأل الله ألا يؤاخذنا عندما يكون الخير بين أيدينا وقريبًا منا ومع ذلك مقصرون ، ونذهب شرقًا وغربًا ، ونذهب لجميع الأماكن ، لكن للحرم قلّ من يذهب رغم وجوده في مكة ! .

والله رأيت أخوات من دول الخليج يقولون : أن أمهاتهم يأتون بهم من شعبان ، ويقضون رمضان في مكة في الحرم ما بين صلاة وعبادة ! ولما ماتوا أمهاتنا صرنا نأتي من رجب ، يعني رجب وشعبان ورمضان ، والعيد كلها نقضيها عند الحرم ! يأتون الشهر والشهرين أوالأسبوع و الأسبوعين ! ونحن هنا قريبون من مكة لكننا مقصرون ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾ [الجاثية: 15] ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ [النجم: 39-40]

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [أل عمران: 30]

يقول الله -سبحانه وتعالى- في الحديث القدسي : (يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ﷻ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) رواه مسلم .

٣ - **الأمر الثالث :** اتباع نبينا محمد ﷺ واتباع سنته .

كلما اقتفيتِ أثر سنة النبي ﷺ واتبعتها ، كلما كنت أقرب -بإذن الله- للهداية ، والدليل قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [الشورى 52-53]

وهناك آيات كثيرة تدل على ذلك ، منها قوله تعالى :﴿وإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54]

كلما كنت أقرب لطاعة الرسول ، وطبّقتِ سنته ، كلما كنت أقرب لهداية قلبك ، لا أقول هذه سُنة ، بل أُطبق هذه السُنة ، لأن هذه السُنة هداية قلبك -بإذن الله- .

إذًا ، قلنا أن السعادة بنص القرآن هي في اتباع هدى الله -سبحانه وتعالى- ، واتباع أوامره وترك نواهيه ، وخلُصنا إلى أن أعظم بوابة هي طاعة الله ، فهل أحتاج مالًا حتى أطيع ؟ لا ، حتى المريض يستطيع ! فنحن ولله الحمد في أمان ، وصحة ، وعافية ، وكل الأمور ميسرة لنا -لله الحمد والشكر- ، فليس عندنا موانع عن طاعة الله ، غيرنا نراهم حين يطيعون الله يُعاقبون ، يُقتلون ، يموتون ، يعذبون ، لا يستطيعون أن يقرؤوا القرآن ، ولا يصلون ! وهناك مسلمات من دول أخرى يقولون : نحن نصلي في الحمّام ! وإذا صلينا في الجامعات أو غيرها فإننا نجتمع ست بنات أو سبع ، تجلس ثلاث في الخارج يراقبون المكان حتى لا يراهم أحد ، و الأخريات يصلّون ! بالتناوب يصلون .

أما نحن ، فالحمد لله الذي يسر لنا كل شيء ، حتى طاعته يسرها لنا ، لا توجد صعوبة في طاعة الله -سبحانه وتعالى- ، ولا في اتباع شرعه ودينه -نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا ممن التزم صراطه المستقيم وعرف أن هذه هي السعادة- .

من اتقى الله وأطاعه شعر بالسعادة ، والذي عاش حياة البؤس ، وحياة الفسق ، أو حياة البعد عن الله ، ثم بعد ذلك هداه الله ورجع ، سيشعر حتمًا بالسعادة .

كان أحد المشايخ يقول : الحمد لله أن هداني ربي ، بفضل منه سبحانه ، يقول : حينما كنا في الضلال ، كنا عندما نرى الناس الملتزمين والمطوَّعين نقول : هؤلاء مساكين ! ثم أدركنا أننا نحن المساكين البؤساء ، فهم في سعادة لا يعلمها إلا الله .

أحد السلف كان أبوه ملكًا ، وهو أمير ، لكنه ترك حياة الملك ، وترك الحياة الدنيا ، وجلس عند نهر الفرات يفتّ الخبز في الماء فيأكله ، يقول : والله لأنا في سعادة لو رأني الملوك -وقد عاش حياة الملوك- وأبناء الملوك لجالدوني عليها بالسيوف !

من شدة ما يشعر بالسعادة ، وهو عند النهر فقط يفت الخبز ويأكل ، لكنه طائع لله .

فنسأل الله أن يرزقنا من واسع فضله .

البوابة الثانية

رصد الأهداف وتحديد مساراتها في هذه الحياة -نسأل الله أن ندخل من كل البوابات- ،

البوابة الأساسية هي بوابة هداية الله واتباع هدي الله ، وطاعة الله بأتباع أوامره واجتناب نواهيه ، هي مفتاح للبوابات الأخرى ، الله ﷻ يقول في الحديث القدسي (وإن تقرب إليّ بشبرٍ تقربتُ إليه ذراعًا ، وإن تقرّب إليّ ذراعًا تقرّبتُ منه باعًا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) . رواه البخاري ومسلم .

هو كريم -سبحانه وتعالى- ، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 17]

أوى العبدُ فأوى الله إليه ، الذي يُقبل على الله ، ويتقرب إليه ، يفتح الله له سبل عظيمة لا تخطر على بال ؛ لأن الله كريم ، فإذا أعطى أدهش .

إذًا ، تحديد الهدف أمر ضروري ! تحديد أهدافي في حياتي التي أعيشها ، والمسارات التي أسير فيها ، فلا أسير هكذا بطريقة عشوائية ، تمرّ السنة والسنتان وأخرج منها بلا شيء ! لا إنجازات ، ولا حفظ ، ولا فهم لما يجب عليّ ، ولا زاد إيماني ، ولا تقربت إلى الله ! وضعٌ واحد ، بل قد يزداد سوءًا ؛ لأني لم أضع أهدافًا محددة ، ولا مسارات تضبط تحركاتي ! لم أراجع نفسي ولم أجلس معها أسألها ! ليس لديّ أهداف !

أعظم هدف أجعله في حياتي ، وهو رأس الأهداف كلها ، هو الهدف الذي خُلقنا من أجله ، وهو عبادته -سبحانه- ، قال تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56]

ما خلقنا كي نأكل ونشرب ، أو أن نوقف حياتنا مجرّد أن تواجهنا بعض الأمور المعكّرة لصفو الحياة ، كأن يغضب الزوج زوجته ، أو أن يفعل الابن أمرًا لأمّه ، فتجدها تتوقف عن الإنجاز وتشعر أن الحياة تدمّرت ! كلا ، ربّكِ لم يخلقك من أجلهم ، بل خلقك لهدف عظيم ، خلقك من أجل أن تعبديه ، خلقك من أجل جنة أعدها لك ! فاجعلي خدمتهم عبادة تتقربين بها إليه -سبحانه-

كلمة (لِيَعْبُدُونِ) لا تلزم المرء بأن يضع سجادة ويصلي ليعبد الله ليل نهار ! لا ، معنى يعبدون أي : أن أكون متصلة بالله ليلًا ونهارًا ، فمثلًا : إذا أصابني كرب أسأل الله الفرج ، وإن جاءني فرح أحمد الله وأشكره ، وإذا شعرت أنني لا أستطيع القيام بشيء فإني أطلب من الله التوفيق والعون والسداد ، وهكذا .. لا أنقطع عن الله ، بل أجعل قلبي متصلًا بالله ، يعبده بالقلب ، بالاستعانة ، بالشكر ، بالرضا ، بالتسليم ، بالصبر ، أعبده بعبادات قلبية ، لا يلزم أن تكون عبادات جوارح حتى تتحقق العبادة !

فالهدف الأساسي الذي لابد أن أضعه أمامي أنه -سبحانه- ما خلقني إلا لعبادته ، ما خلقني لدنيا أعيشها ، فالدنيا هذه لا شيء ! ما جعل الله -سبحانه وتعالى- لها عنده قيمة ولا وزنًا ولا مكانة ! بل إن النبي ﷺ قال عنها :(الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، وعالم أو متعلم) رواه الترمذي

يعني مطرودة مُبعدة عن الله ؛ لأنها تُشغل عنه ! فلا يحبها الله ، ولا تساوي عند الله شيئًا ، قيمتها فقط بذكر الله وأن تكون عالمًا او متعلمًا ، أو تذكّر بالله ، بالصلاة ، بالصدقة أو بالذكر ، بالتسبيح ، هذه قيمتها عند الله ، أما غير ذلك فإنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة ، مساحتها كقطرة ، قال ﷺ : (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمّ ، فلينظر بما يرجع) رواه مسلم .

فالقطرة هي الدنيا التي نعيشها ، والبحر العظيم هو الحياة الأخروية التي تنتظرك ، لذلك قال الله تعالى : ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: 17]

وتكرر ذلك في آيات كثيرة، فقال سبحانه : ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: 60]

فالذي خلقك يقول لك : هذا أبقى وأحسن وأفضل .

إذًا، إدراك هذا الهدف -أن الله خلقني لعبادته- والسعي له ، يجعلني أستقر في حياتي ، وأعرف أني لو أعرضت أو بعدت عن هذا الهدف فإن الحياة ستكون ضنكًا ! ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: 124]

وهذا الهدف الأساسي تخرج منه الأهداف ، تأتي بعده الأهداف تباعًا ، وحتى أحقق هذا الهدف لابد أن ألتزم بأعمال توجد في مرتبتين ، إحداهما عالية جدًا -نسأل الله أن يبلغني وإياكم- ، والأخرى من الممكن أن نعيشها ونعتادها ، وكلنا يشترك بها .

① أما المرتبة التي من الممكن أن نشترك كلنا فيها هي **مطلق الإيمان** ، التي هي أداء العبادات من صلاة ، وصيام ، ومجاهدة النفس في سبيل سلوك الطاعة ، والاستقامة على الأوامر ، وعدم التمرّد على شرع الله ؛ فإذا جاءنا أمر من أوامر الله نقول : سمعنا وأطعنا ، و هذا واجب علينا وليس منة منا ! لا ، فأتبع أوامر الله بصلاتي ، وطاعتي ، كلها أريد بها وجه الله -سبحانه وتعالى- ، كلنا نصلي لله ، ونعبد الله ، نصوم النهار لله ، نقوم الليل لله ، وهذا هو مطلق الإيمان بالله ، العبادات الظاهرة .

② وأما المرتبة الثانية : وهي **المرتبة العالية** -نسأل الله أن يرزقني وإياك هذه المرتبة - والتي هي أشرف وأعز وأنبل ، وهي أن يستشعر العبد أن كل شؤون حياته صغيرها ، وكبيرها ، ودقيقها ، وجليلها ، كلها عبودية لله ، فهو يعبد الله في كل وقته -وهذه مرحلة عالية- بأن يستشعر معنى العبودية لله -سبحانه وتعالى- ، متجاوزًا مرحلة تطبيق وامتثال حدود الشرائع الظاهرة البارزة من صلاة وزكاة ، -فهذه كلنا مشتركين بها- نحن كلنا نصلي لله ، ونصوم لله ، ونعبد الله ، لكن حينما أرتقي منزلة أعلى بأن تصبح كل شؤون حياتي من شراب ، وطعام ، وزواج، أتزوج من أجل إنجاب ذرية تعبد الله -سبحانه وتعالى- وحتى نُمكن في الأرض ، كذلك طعامي فإني أتناوله حتى يتقوى البدن على طاعة الله ، أنام كي حتى يرتاح هذا الجسد حتى يقوم يعبد الله ، فصارت حياتي كلها طاعة لله -سبحانه وتعالى- ، يمارس العبد كل ذلك في داخل إطار العبودية ، ولابد أن أتوقف في حدود المباح ، وما أذن الله به ، دون الاعتداء على حدوده ، فما أتعدى حدوده وأقول أني أتعبّد الله !

أنافق بين اثنين ، وأنُمّ بينهم ، وأوصل الكلام ، ثم أبرر ذلك بقولي : قصدتُ بذلك أن تنتبه منه ! فأتعدى بذلك على حد من حدود الله ، وفي نظري أني أتعبد لله بهذه العبادة ! لا ، هذه لها حدود وتوقف من وجهين ، الوجه الأول : أن أتوقف عند المباح ، والوجه الثاني : أتوقف بعدم الاعتداء على حدوده .

مثال : كنت أقرأ في كتاب أنه كانت هناك امرأة قد قتل زوجها ، ويريدون الأخذ بالثأر لها ، وكان أبناؤها صغارًا ، وليس عندها من يأخذ بالثأر ، فذهبت واستأجرت أحدهم حتى يأخذ بالثأر من قاتل زوجها ! وعندما رأى أولادها أيتامًا ، وليس عندها مال تعطيه أجرة له ، قال لها : أنا أذهب وأقتله و لكن لوجه الله ! ما أريد من أجرة ؛ لأنك والدة أيتام ومحتاجة ! هذا تعدي على حدود الله -سبحانه وتعالى- .

إذًا ، أعيش حياتي كلها في إطار العبودية، ولكن لابد أن أكون منضبطة ومتوقفة ، فكل شيء في حدود المباح ، وما أذن الله به ، ولا أعتدي على حدود الله -سبحانه وتعالى- ، وأتخذ كل الوسائل المعينة على تحقيق هذه العبودية ، فيتحول كل شيء في حياتي إلى عبادة ، وهذا المفهوم السامي الذي يريده مني -سبحانه وتعالى- .

ربما تجد عند أعظم الناس إغراق في حياتهم ، من عقار ، وبيع ، وشراء ، وأملاك ، لكن هو في حدود المباح ، ولا يعتدي على حدود الله -سبحانه وتعالى- ويعمل بما أذن الله به ، فيدخل في أجر التمكين في الأرض ؛ لأنه ممن مكنهم الله في الأرض ويعيشون فيها بالتمكين ، لكن منضبطين بهذه الضوابط .

هذا جزء من العبودية الشاملة لله ، وهذه العبودية ذكرها الله -سبحانه وتعالى- لرسوله ﷺ فقال :﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: 162-163]

جعل الحياة كلها ، لم يخصها بالعبادات الظاهرة والشعائر ، ذكر بداية : صلاتي ونسكي -وهذه أعمال بارزة ظاهرة ، وكلنا نشترك فيها- ، لكن عطف عليها الحياة كلها ، قال : ومحياي ومماتي ، فعطف عليها الحياة في هذا الإطار العظيم ، وجعل كل هذا الإطار العظيم لله رب العالمين ، لا شريك له ! فأصبحت حياتي كلها أعيشها في إطار العبودية لله -سبحانه وتعالى- ، صلاتي ونسكي ومحياي وحتى الممات الذي ليس فيه حِراك فهو لله رب العالمين .

من عاش قليل الحظ ، ليس عنده حظ من متاع هذه الحياة الدنيا ولذاتها العابرة ، هل نظن أنه لا يعيش الحياة السعيدة ؟

والله إنه ليستطيع أن يعيش هذه الحياة السعيدة إذا دخل من هذه البوابات العظيمة ، وجعل حياته كلها لله -سبحانه وتعالى- ، حتى ولو كان يكابد أصناف المشاق والمتاع ، لأن السعادة ليست فيما تملك ، السعادة في رضى نفسك ، فيما استقرّ في الفؤاد ، السعادة هي السلامة من القلق .

نحن من يقرر على أنفسنا ، والله مايأتينا أمر ونشعر بهذه الزلزلة وهذا الفؤاد الفارغ والتعب الذي نجده والجهد إلا من ضعف إيماننا ، ضعف الإيمان فصار حتى حسن الظن بالله والثقة في الله اهتزت عندنا ، لأننا ما دخلنا من البوابات العظيمة لله -سبحانه وتعالى- .

فهذا أسمى شيء ، وهي مرتبة أن يستشعر العبد أن كل حياته عبودية لله .

كيف أحصل على السعادة وأقف عليها من بوابة تحديد الهدف ؟ بأن أجعل هدفي كله وحياتي في إطار العبودية ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ وهذا ليس من الخيال .

لا تظن الواحدة منا أننا تعيش في الحياة هذه دون كدر ، أو أنه ليس فيها نصب ، ولا همّ ولا خوف ولا حزن ! لا ، بل جبلت الحياة الدنيا على الكدر ، ولا يسلم من هذه الأكدار إلا من يستغلها ويجعلها منفذًا قويًا ، ينفذ لله بالرضا ، والتسليم ، والصبر ، والاحتساب ، والالتجاء ، والإنكسار ، ثم يضع في باله أن كل مواقف الألم التي يعيشها ، والحزن ، والهم ، ما هي إلا سحابة عابرة تمرّ ، والذي يجده من هذه السحابة من حرها وحزنها سيمرّ كالبرق ، ولابد أن يجعل ذلك منفذًا من منافذ السرور والحبور .

الرسول ﷺ كان أشد الناس بلاءً ، ومع ذلك كان أسعد الناس ، الصحابة زلزلوا زلزًا شديداً ، ومع ذلك كانوا أسعد الناس ، كانوا يتلذذون بالبلاء !

إحداهم تقول : سمعتُ في أحد الدروس أنه كلما زاد الإيمان زاد البلاء ، فقالت -من جهلها- : هذا يعني أن العبد يخاف إذا زاد إيمانه ؛ لأنه سيزيد بلاءه ! فقالت لها المحاضِرة : كلا حبيبتي ، بل كلما زاد الإيمان عندك ، جعل الله -سبحانه- لك منفذًا لهذا البلاء ، بأن تمرّ المحن كسحابة ، وتستخدمي هذه الابتلاءات في التعبد لله بالرضا ، بالصبر ، بالتسليم ، ولابد أن نؤمن أن الذي قدّر عليّ هذا القدر هو الرب الرحيم ، الكامل في صفاته ، الكامل في ذاته ، الكامل في أفعاله ، فتجعلني هذه الابتلاءات أنفذ منها لطريق إلى الجنة ، ويتضاعف الأجر بالصبر والرضا .

قال تعالى ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: 12]

وقال تعالى ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: 23-24]

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: 10]

قال تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [التغابن: 11]

فالحمد لله ، الله ﷻ أراد لكِ هذه المصيبة ، ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ يعني : يثبته بالقول الثابت .

هذه البلاءات صارت منافذ ، أنفذ بها إلى الله ؛ حتى أتقرب إليه ، ما هي العبادات التي أحتاجها في هذه الآلام والمصائب والأحزان والهموم التي تعصف بي ؟ هو أن أجعلها منفذًا للصبر ، للتسليم ، فكل ما أصابني هو من الله الرحيم ، وأنا أمَةٌ ضعيفة ، يدبرني الله -الحكيم- الذي هو أعلم بحالي ، فلا يأتي الشيطان ويقول : أنت لا تستطيعين التحمّل والصبر ، نقول : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: 286]

ما يأمرنا الله بأمر ، ولا ينهانا عن نهي ، ولا يقدّر علينا قدر إلا وهو أرحم بنا من أنفسنا التي بين جنبينا ، فهو -سبحانه- يعلم الأصلح لي .

الذي يعيش هذه الحياة حياة الألم ، وحياة الحزن ، كيف يشعر إذا كان قويًا إيمانه ، وكان عنده هدف في هذه الحياة بأن يعيش حياته كلها عبودية لرب العالمين ، ويجعلها منفذًا له إلى الرضا والتسليم والصبر واحتساب الأجر ؟ لا شك أنه سيعيش سعيدًا !

ولا نتوقع أن ركائز العبودية وركائز السعادة التي أقولها لك ، ليس فيها نصب ولا حزن ولا هم ! لأن الحياة هنا جُبلت على كدر ، فالحياة التي ليس فيها نصب ولا حزن هي الجنة -نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهل الجنة .

ولعل هذا الكدر ، وهذا الألم ، وهذا الحزن هو منفذ للجنة ، وهو طريق للجنة ، فمن خلقه الله للجنة لم تزل تأتيه المكاره ، قال ﷺ: (من يرد الله به خيراً يصب منه) رواه البخاري ، وقال كذلك : (ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا همّ ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غمّ ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها خطاياه) رواه البخاري .

عندما لا نحسن الظن بالله ، ولا يكون عندنا معرفة بأن الذي ابتلانا كامل في صفاته ، كامل في ذاته ، كامل في أفعاله ، فإنه لاشك أننا سنهتز ونضطرب وقت البلاءات !

إحدى الأخوات مات لها أربعة أولاد ، وحضرتُ عندها للعزاء ، والله لقد وجدت في قلبها انشراحًا عجيبًا ، وهي تقول : الحمد لله ، ربي متعني بهم مدة من الزمان ، وأخذ الحمد لله وديعته ، الكبير متعني به ، وكذا الثاني والثالث والرابع ، والآن تُبنى لي أربعة بيوت في الجنة ، لم الحزن ؟ أنا تُبنى لي أربعة بيوت !

فانظري للإيمان والتسليم عندها ؟! ينفذ مباشرة ، أمر الله إذا أتى قابلوه بالرضا والصبر والتسليم واحتساب الأجر.

-أسأل الله أن يرزقني وإياكم- .

البوابة الثالثة :

عندنا أهداف واهتمامات ، هذه الأهداف وهذه الاهتمامات ، أنني في طاعة ، مثلًا أجعل لي هدفًا أن أحفظ القرآن ، أو أصوم الاثنين والخميس ، أو أن أدخل مقرأة ، أو أدخل علم شرعي ، هذه أهداف خاصة بي أنا .

ومن أجل أن أفتح بوابة ثالثة للسعادة أحرص أن أوسع دائرة اهتماماتي من نفسي لغيري ، فأحاول أن أنفع غيري ، ويكون لي نفع فعال في المجتمع ، وعلى الأمة ، وأقي نفسي شحّها ، فلا يكون همنا أولادنا وبيتنا فقط ، وليس لنا من غيرنا فلا نساعد أحدًا ، ولا نكلم أحدًا، ولا ننفع أحدًا ! وحتى الذين هداهم ربي وأصلحهم نقف لهم بالمرصاد ! لا .

قد تجدين البعض منهم لا تدع مناسبة فرح ، ولا سوق إلا وتذهب إليه ، ولا يؤنبها أحد ، ثم إذا جاءت للتحفيظ ، أو للعلم الشرعي يقولون لها : تركتِ بيتك وأهملتِ أولادك ، وفعلت وتركت ! أمرٌ عجيب !

إذًا ، لا بد أن أجعل اهتماماتي بنفع الغير من الأهداف الضرورية ، وهذا والله من أعظم أسباب السعادة في الحياة .

وقد رأيت إحدى الأخوات في قرية هي وزوجها وأبناءها ، والله لا يدعون أرملة ولا يتيمًا ، ولا إطعام للمساكين إلا ويبادروا ، وليس هناك ذاك الالتزام والاستقامة الظاهرة جدًا على زوجها وأبنائها ، فسألتها عن سرّ ذلك الحرص على نفع الغير ، تقول : السرّ فيه هو حديث واحد سمعته فغيّر مجرى حياتي ! ماهو ذلك الحديث ؟ قال ﷺ : (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس) تقول : والله سمعت هذا الحديث فحرك مشاعر عندي لا يعلم بها إلا الله ، فأصبحت بأي حال أسأل عن المحتاج !.

ربما تقولين : أين أجد هذا وأنا في بيتي ؟ فقط اصدقي وانوي ، ومن نوى الخير دله الله عليه ، وفتح له الأبواب والسبل ، فتح له سبلًا لا تعد وتحصى ، ليس شرطًا أن يكون سبيلًا واحدًا ، لا ، فأخرج من أهدافي الخاصة بي التي لا أنفك عنها ، وأسير في الدنيا لأنفع غيري ، قال تعالى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ . وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ . إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل:1-4]

كلنا سعينا شتى ، أحدهم أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، صدق بالجنة وعمل لها، وأحدهم لم يفعل ! لذا لابد أن نبحث في قائمة أهدافنا ونعيد النظر مرة ثانية ، لنخرج من هذه الدائرة الضيقة التي هي دائرة الأنانية والشح ، وكلما كانت عندي همة عالية ، كلما ارتقت الأهداف وتوسعت حتى تصل إلى الأمة كلها .

كم رأينا بأعيننا ، وسمعنا بآذاننا عن أناس بسطاء ، ليس عندهم شيئًا ، ليس عندهم كثير المال ، ولا كثير علم ، ولا جاه ، لكن الله نفع بهم العالم بأكمله ، ولكن متى ؟ إذا صلحت النيات ، وصدقنا مع الله ، وخرجنا من هذه الدائرة الضيقة ، دائرة الأنانية ، فننفع الذين حولنا من أهل وأقارب وجيران ، مثلًا : إذا اجتمعت العائلة كل خميس وجمعة ، فلنجعل لنا مشروعًا بين البنات الذين أتوا واجتمعوا ، هذا مفتاح من مفاتيح السعادة ، لا حرج أن يكون لنا أهدافًا خاصة ، نحفظ القرآن ، أو نتعلم الأحكام ، وهكذا ، ولكن إن كنت أريد لنفسي حياة سعيدة ممتلئة بالسرور والسعادة فلا بد أن يكون هناك جدولًا ، وأضع فيه أهدافًا ، من ضمنها نفع الغير ، يبدأ بالأهل والجيران .

إذًا ، العطاء بالفكر ، والجهد ، والجاه ، والمال ، والوقت ، هذا كله خلق شريف ، يمنح صاحبه بُعداً أخر ، وحياة أخرى ، ويبني له مجدًا ، ليس هنا في الدنيا ! بل مجد في الأخرة ، عندما يلقى الله -سبحانه وتعالى- وهو واقف بين يدي الله -سبحانه وتعالى- ، تجادل عنك هذه الحسنات وهذه الأعمال التي تعملها ، هي التي تجادل عنك ولست أنت ، أنت ضعيف مسكين فقير ، لا تستطيع الكلام بشيء حينها ، ما فعلت وما نفعت به غيرك هو الذي يجادل عنك .

لقد عاش النبي ﷺ، وهو قدوتنا وأسوتنا ، أعظم صور العطاء البشري ، لا يوجد أحد في البشرية أعطى للأمة مثل الرسول ﷺ، لو رجعنا لسيرته وشمائله وأفعاله لوجدنا أنه نهج النهج العظيم مع كل من تعامل معه من أهله وأصحابه والغرباء وأعدائه ! وما لنا إلا اقتفاء أثره .

كلما علت الهمة ، وخرج المرء من هذه الأنانية ، صار سعيدًا ، ومن الجيد لو عملنا عملًا في نطاق الأسرة ، فعند الاجتماع مثلًا نجعل لنا هدفًا ، كأن نجمع لكفالة يتيم ، حتى لو كل وحدة تدفع خمسين ريالًا ، وواحدة تتبرع وتذهب لبيت من بيوت الأيتام كل شهر وتكفلهم ، وهكذا كفالة معلم .. أي عمل من الأعمال التي تجرّ نفعًا للغير .

وأنتم تعلمون أن الاجتماع على العمل الصالح من أسباب مضاعفة الأجور ، فحينما أقوم بعمل يكون لي أجرًا ، ولكن عندما أجتمع مع مجموعة تزيد الأجور ، فكلما زاد العدد زادت الأجور فيه ، وكذلك أعطي فرصة لمن حولي وبالذات أبنائي ، فأكون لهم قدوة ، حين يروني وأنا أعطي وأتصدق وأفعل ، وأعينهم على هذا الخير والبذل والعطاء .

إذًا ، حتى تبني لك مجداً في الآخرة ، وليس في هذه الدنيا ، فإنك لن تبني هذا المجد ويشمخ إلا بطيب الصنيع وحسن الأثر -نسأل الله أن يرزقنا- ، وهذا لن يكون منك إلا إذا جردت نفسك من الأنانية وحب الذات ، فلم تعش لنفسك ، بل لأمتك ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت: 46]

قال تعالى : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39]

فلينطلق ذو الهمة العالية ويسعى على الأرملة ، وعلى المسكين ، ويكفل الأيتام ، ويذهب ليصلح بين المتخاصمين .

أحيانًا نجد أسرًا متخاصمين ومتقاطعين عشر سنين أو خمس سنين ، فلا نفكّر -ولو تفكيرًا- أن نصلح بينهم ، نقول : هؤلاء عقولهم متحجرة لا تقبل النقاش ! هل سألت الله العون ؟ هل قلت يارب ؟

فلست أنت من توفّق ، بل الله يوفّق بينهم ، لو سألت الله ، وقمت الليل ، واستعنت بالله ، وذهبت ونيتك أن تصلح بينهم ، سيوفقك الله لذلك ! لا تعش في حياتك لنفسك فقط ! لا، لن يكون لك قيمة ، ولا سعادة أو انشراح إلا إذا وسعت دائرتك ونفعت غيرك ، ونفعت جيرانك ، وأصبحت مباركًا ، أصبحت بألف شخص .

قبل أيام ذهبنا لقرى ، قرى نائية ، وجدت عند النساء همّة عالية عجيبة في الدعوة إلى الله ! تعجبت من هذه الهمة التي رأيتها ، لسنَ متعلمات ، لكنهم يردن ما عند الله -سبحانه وتعالى- ، امتلأت القلوب إيمانًا ، فعلت الهمة في الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- ، حريصات على أن ينفعن بأي طريقة .

التي سقت كلبًا -وهي بغيّ- غفر الله له ذنبها ، والذي نحّى غصن شجرة عن الطريق يتقلب في الجنة ! .

وأعظم معروف أبذله للناس ، هو أن أقرب تلك القلوب إلى الله -سبحانه وتعالى- ، وأحببها في عباد الله ، فنسأل الله أن يرزقنا ذلك .

انتبهي وأنتِ تلجين هذه البوابة -بوابة أن تكوني نافعة لغيرك- ، وتريدين انشراح الصدر فيها ، فإن لها قواعد أساسية من أجل أن يوفقك الله فيها ، إذا لم تسيري على هذه القواعد صار عملك هباءً منثورًا .

١ - **القاعدة الأولى** : الإخلاص ، فما أريد بأي أمر أقوم به لا مدحًا ، ولا ثناءً ، ولا أي شيء ، فقط أريد وجه الله ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: 9]

قد تحسني لشخص فيسيء لك ، ولكن إن كنت تريدين رضا الله ، فلا تنظري لردة فعله ، هذا هو الإخلاص ، هذه القاعدة الأساسية للانطلاق في هذه البوابة ، قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: 207]

باعها لله ، فليس همه الناس ، أعطوه ، أو مدحوه ، أو أثنوا عليه ، هو ينظر فقط إلى ثناء الله ، فالله لا يضيع عمل عاملٍ من ذكرٍ أو أنثى ، أبداً لا يضيع لك عمل ، فهو الكريم يجازيك بالحسنة إلى عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، ويضاعف لمن يشاء ، وليحذر المرء من وساوس الشيطان وتثبيطه ، ووسوسته بقوله : اترك فعل الخير كي لا يدخل عليك الرياء ! وليستعذ بالله منه ، وليسأل الله من فضله وتوفيقه .

٢ - **القاعدة الثانية :** الدعاء ، ادعي الله وانكسري إليه ، أن يرزقك قلبًا رحيمًا ، أن يجعلك نافعة مباركة ، دعاؤنا هذا [يا رب اجعلنا مباركين حيثما كنا] هو دعاء عيسى عليه السلام، حتى لأبنائنا ندعو لهم بأن يجعلهم الله مباركين ، وينفع بهم الإسلام والمسلمين ، لابد أن يكون هدفنا عالٍ وهمتنا عالية ! نحن ندعو لهم بأن يصبحوا دكاترة ، اجعلي دعاءك بأن يكونوا مباركين سواءً كانوا دكاترة أو غيرهم ، ليبارك الله فيهم في المكان الذي هم فيه .

ثم لن ينطلق لنفع الناس إلا من كان في قلبه رحمة بالناس ، الراحمون يرحمهم الله ، أسأل الله أن يرزقني هذه الرحمة ، وأن يجعلني مباركة حيثما كنت ، أحيانًا في المجالس نجد أُناسًا مباركين ، يقولون لك كلمة تنتفعين بها ، تسمعين منهم عن مشروع ثم تقومين للانتفاع منه ، فأسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء .

٣ - **القاعدة الثالثة** التي تساعدك ولوج هذه البوابة : تهذيب النفس بذكر الآخرة ، ونحن مشكلتنا أننا نضع بيننا وبين الآخرة حواجزًا ، جدران مغلقة ، حتى عندما نقوم بأي فعل لا نتفكّر مباشرة بالدار الآخرة ، بالرغم أن الله - سبحانه وتعالى- عندما مدح الأنبياء قال : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ [ص: 46]

أي فعل يفعلونه لا يريدون إلا ما عند الله ، يتذكرون القبر وأنه لن ينفعهم إلا العمل الصالح ! يتذكرون أنهم لو كفلوا اليتيم فإنهم مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في أعالي الجنان ! لو حسنت خلقهم فإنهم سيجاورون الرسول -صلى الله عليه وسلم- لقوله :(إن من أحبكم إليّ ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) رواه الترمذي .

فيحسنون أخلاقهم لا لأجل أن يقول الناس له : أنت ذو أخلاق حسنة ! لا ، بل عنده نظرة مختلفة ؛ لأنه يربط عمله بالآخرة .

فتكون أهدافه كلها للآخرة ، يتذكر الصراط ، يتذكر الوقوف بين يدي الله ، وهو ضعيف ذليل ، فتأتي حسناته تجادل عنه ، يأتي هذا القرآن يشفع له ، تأتي أعماله هذه التي فعلها وتشفع له يوم القيامة ، فذكر الدار الآخرة جعل عنده همّة عالية في أن يكون أنفع الناس .

قلنا : أعظم صور العطاء البشري هو الرسول ﷺ، وهو قدوتنا ، وكذا الأنبياء ، فموسى عليه السلام عندما دخل مدين ما أول فعل فعله ؟ وهو ذليل ، مطرود ، وخائف ؟ سقى لهما ، ساعد ، عمل عملًا صالحًا !

أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان يحلب الشياه(الغنم) للحي كله ، حتى قالت الجارية عندما تولى الخلافة : لن يحلب أبو بكر شياهنا بعد اليوم ! فقال أبو بكر : [بلى ، وإني لأرجو أن لا يغيرني الله في أمر دخلته وكنت أفعله] ! هذا وهو خليفة ! وكان يمر على بيوت المحتاجين ويحلب لهم الشياه

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مثالًا في العطاء ، وكان يتعاهد الأرامل ، ويسقي لهم .

سئل الإمام مالك -رحمه الله- : أي الأعمال التي تحب ؟ فقال : [إدخال السرور على المسلمين ، وقد نذرت نفسي كي أفرج كربات المسلمين] .

وابن عباس رضي الله عنه كان معتكفًا في المسجد ، فأتى إليه أحدهم يريد منه حاجة ، فدخل عليه وسأله حاجته ، فكان لابد أن يخرج معه فخرج ، فقالوا له : يا ابن عباس أنت معتكف ! كيف تخرج وأنت معتكف في المسجد ؟! ، قال : [لئن أمشي في حاجة أخي خير لي من اعتكاف شهر] ! ، وليس ليلة ، بل شهر ، يعني أن أمشي في حاجته حتى أقضيها له - نسأل الله أن يرزقنا .

إذًا ، حب الخير للناس سوف يدخل إلى جذور الأنانية في داخلك ويقتلعها ، ويحل محل هذه الجذور : الإيثار ، والعطاء ، وبذلك تكونين بنيتِ مجداً لك في الدنيا بالذكر الحسن ، والله -سبحانه وتعالى- لا يضيع عمل عامل ، وكذلك تكونين قد بنيتِ لك مجداً في الآخرة .

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى ، أن يرزقني وإياك هذه السعادة ، والحياة السعيدة ، وأن يجعلني وإياك ممن ينفذ إلى هذه البوابات من أوسع أبوابها .

كلما زدتِ زادك الله وأعطاك ، والله كريم لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى .

نسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح .

إحدى الأخوات -جزاها الله خيرًا- يشهد لها الأخوات بخير تفعله ، تجمع الجيران بين فترة وأخرى ليكونوا دائمًا على تواصل ! وهذا عمل لا نستهين به ، فكلما ابتعدوا شهرًا أو شهرين فإنها تجمعهم وتنسق بينهم ، وهذا هدف سامٍ - نسأل الله أن يرزقنا ذلك ، فلا تستهيني بأي عمل ، وأقبلي على الله ، واسأليه أن يدللكِ على مراضيه ، وعلى ما يحبه ويرضاه ، وأن يفتح عليك ، فلو رأى في قلبك صدقًا سيفتح عليك لا محالة ! .

وانظري إلى البوابة الأولى ، فعندما يفتح لك الخير وتلجيه ، ستأتيك أبواب الخير كلها .

إحدى الأخوات تقول : فتح الله أبواب الخير -بفضله سبحانه- ونفعت الخلق على مستوى عالٍ ! وسبب ذلك أنها كانت توصل مالًا -ليس مالها الخاص ، بل يعطونها إياه من حولها لتوصله لأم أيتام ! نسأل الله أن يتقبل منا ومنها – تقول :

التزمت بهذا الفعل سنين لا أتركه -بالرغم أنه مال غيرها-، تقول : وفتح ربي علي أمورًا لا تعد ولا تحصى ، ولا تخطر على بال ! كل هذا بفضل عمل بسيط -فأسأل الله أن يرزقني وإياك- .

جميل أن أجعل من ضمن أهدافي : الذهاب إلى المقرأة يومين في الأسبوع ، وأحضر محاضرة يومًا في الأسبوع ، وأن أجعل لي وردًا من القرآن ، وأصوم الاثنين والخميس ، وأتصدق ، وأكفل معلمة ، وأكفل داعية ، وأوزع كتب ، كل هذا جميل ، وهو في حدود النطاق الشخصي ، لكن الأجمل أن أوسع هذه الدائرة ، فتتسع وأفيد المجتمع ، وأصبح مشاركة في المجتمع والأمة ، وعضوًا فعالًا ، وأبني لي مجدًا ، ليس مع فلانة وفلانة أو مع أهل الدنيا ، بل مجدًا عاليًا ، مجداً مع عائشة -رضي الله عنها- ، ومع خديجة -رضي الله عنها- ، ومع الصحابيات ؛ لألتقي بهم هناك .

ولن يُبنى هذا المجد إلا بحسن الأثر ، وطيب الصنيع ، والصدق مع الله -سبحانه وتعالى- .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ، أنه لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم كما جمعنا في هذا المكان أن يجمعنا في أعلى الجنان على سرر متقابلين .

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم ألا يجعل لنا في المجلس ذنبًا إلا غفره ، ولا همًا إلا فرجه ، ولا ضيقًا إلا نفّسه ، ولا مريضًا إلا شفاه ، ولا همًا إلا جلاه ، ولا كربةً إلا نفّسها ، ولا حاجة من حوائج الدنيا هي لله رضًا ولنا فيها صلاح إلا أعاننا على قضائها ، فهو أرحم الراحمين .

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يرزقني وإياكم الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة ، وأن يجعلنا ممن أحياه حياة سعيدة في دنياه وأخراه .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أنه لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

جزاكم الله خيرًا ، وأحسن إليكم ، وكتب الله لكم بهذه الخطى خطى لأعلى الجنان .